بلاغة التعبير عن البعث والوعيد
في سورة (ق)

إعداد

د/ رشا ممدوح كريم عبده

مدرس البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالإسكندرية ، جامعة الأزهر

بلاغة التعبير عن البعث والوعيد في سورة (ق)

رشا ممدوح كريم عبده
قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر ، مصر
البريد الإلكتروني: rashamamdouh_islam.alx@azhar.edu.eg

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه في اصطفائه لمفرداته، ومعانيه، وتراكيبه، وموضوعاته المترابطة ارتباطا وثيقا، والذي شكَّل نظما فريدا من نوعه، ما استطاع أحد الوصول إليه، فهو أقصى درجات البلاغة ومنتهاها، وانتقت الدراسة من ضمن آيات الذكر الحكيم آيات البعث والوعيد من سورة ق، والتي تشمل الآيات من الآية (٢٠) إلى الآية (٣٠)؛ لما فيها من الإثارة في رصد التفصيلات الدقيقة لمشهد القيامة الكبرى الذي أنكره المنكرون، فمحور السورة الأساسي هو معالجة فساد العقيدة في أمر الألوهية وإنكار البعث، والرد على ذلك بالحجج والبراهين البينة، فقد صورَّتْ يوم الحساب وما به من أحداث تقشر لها الأبدان؛ إذ هو اليوم الذي يظهر فيه كمال عدل المولى –عز وجل– في إعطاء كل ذي حق حقه.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي الذي اعتُمِدَ عليه في توصيف الألوان المتعلقة بنظم الآيات، ثم وُلِّيَ بالمنهج التحليلي، والاستنباطي؛ في إظهار ما وراء النص القرآني من أسرار بلاغية، تبين وجوه الاختلاف بين اصطفاء النص القرآني لهذا وتركه لذاك.

ثم انتهى البحث بخاتمة بينتْ النتائج التي خلصتْ إليها هذه الدراسة، مع ذكْر أهم التوصيات.

الكلمات المفتاحية: الاصطفاء، النظم، البعث، الوعيد، سورة ق

The eloquence of the expression of resurrection and threat in Sura (Kaaf)

Rasha Mamdouh Karim Abdu
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies, Alexandria, Al-Azhar University, Egypt
Email: rashamamdouh_islam.alx@azhar.edu.eg

Abstract:
This study aims to demonstrate the rhetoric of the Holy Quran, and its greatness in choosing its vocabulary, meanings, structures, and closely interrelated themes, which has constituted a unique system that is accessible to one of the most great and perfect forms of it. The study has selected from the verses the Holy Quran of the Holy Quran, which include the verses from number (20) to (30).
In view of the excitement in showing the exact details of the great resurrection scene that is denied by the deniers. The main purpose of the Surah is to address the corruption of faith in the matter of divinity and denial of resurrection, it also aims to respond with clear arguments and demonstrations. It has depicted the Day of Resurrection and its super horrible events. It is the day when the integrity of the justice of Allah -Almighty- who appears giving everyone his fair right.
The research has followed the descriptive method adopted in characterizing the colors of verses' systems, and then it has followed by the analytical and deductive method. In the manifestation of the rhetorical secrets beyond the Quranic text, the different forms between the adaptation of the Quranic text of this and its abandonment are shown.
The research then has been concluded with a conclusion showing the findings of this study, mentioning the most important recommendations.

Keywords: Selection, Systems, Resurrection, Threat Of Divine Vengeance, Surat Kaaf.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي قال فأبلغ، وأنعم فأسبغ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام أجمعين ....

أما بعد،،،،

فالقرآن الكريم نزل متحديا العرب فيما برعوا فيه، بل وصار معجزًا؛ حيث جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني، أي: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن لوجدتَ كل هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة[1]. لذا أردت النهل من ينابيعه، والغوص في أعماقه؛ لأتعلم من بلاغته. وآثرت مشهد البعث والحساب يوم القيامة؛ لحاجة الكثيرين منا إلى التذكرة؛ حيث إن الذكرى تنفع المؤمنين؛ لتجديد إيمانهم، **فكان بحثي بعنوان:**

(بلاغة التعبير عن البعث والوعيد في سورة ق)

وقد كنت أقرأ هذا الجزء من السورة طيلة حياتي فيجتاحني خوف من هول ما أقرأ؛ فهو مشهد دقيق متكامل لما هو حاصل في هذا اليوم حفظنا الله وعيده، ورزقنا جنته.

وتكمن **أهمية البحث** في إبراز وجه من وجوه الإعجاز القرآن الكريم المعبر عن الآيات محل الدراسة؛ حيث إن هذه الآيات من سورة ق – من الآية ٢٠ إلى الآية ٣٠ – تصف مشهد البعث الذي بكونه في هذه السورة الكريمة يختلف نظمه عن كل سور القرآن الكريم التي تحدثت في الموضوع نفسه؛ لأن محور سورة (ق) الأساسي هو معالجة فساد العقيدة وإنكار

١)) قول الخطابي في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، ص ٢٧ بتصرف واختصار، تحقيق وتعليق د/محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

البعث، لذا فإن نظمه ذو حبكٍ تقشعر له الأبدان، فهو مشهد تفصيلي به من الترهيب ما يجعل النفس العاقلة تستجيب لنداء الباري والإيمان به.

وقد أوضح البحث أهدافا محددة ألا وهي:

١- ما علاقة الآيات بالمحور الأساسي للسورة، وعلاقة الآيات بافتتاحية السورة وختامها، والسورة التي تسبقها وتعقبها؟

٢- كيف عبر النظم القرآني في سورة (ق) عن هذا المشهد –مشهد البعث يوم القيامة– وكيف آثر هذا على ذاك من ناحية الألفاظ والمعاني والتركيب والجرس؟

٣- ما هي أهم السمات البلاغية التي امتاز بها نظم آيات البعث والوعيد في سورة ق؟

وجاء البحث مشتملا على **مقدمة** بها سبب اختياري للموضوع، وأهدافه، وخطته، والمنهج الذي سرت عليه، و**تمهيد** أوضحت فيه معنى النظم والبعث والوعيد، وموجز حول السورة، والآيات محل الدراسة، ثم قسمت البحث إلى **مقاطع:**

المقطع الأول: ذكر القيامة الكبرى (النفخ).

المقطع الثاني: إثبات الشهود يوم القيامة.

المقطع الثالث: صفات أهل النار.

المقطع الرابع: اختصام الكافر وقرينه.

المقطع الخامس: الجزاء من جنس العمل.

واستندت في بحثي على المنهج الوصفي الذي اعتمدت عليه في توصيف الألوان المتعلقة بنظم الآيات، ثم وليته بالمنهج التحليلي، والاستنباطي؛ في إظهار ما وراء النص القرآني من أسرار بلاغية اختصت بها آيات البعث والوعيد من سورة ق.

فالله أسأل بمنه وكرمه أن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله ناجحا خالصا لوجهه الكريم.

التمهيد

أولا: موجز عن معنى النظم:

اصطفى الله سبحانه وتعالى لكتابه العظيم نظمًا جليّا مثلما اصطفى رسله المطهرون من سائر خلقه الكرام، فهو من جنس ما برع فيه العرب، إلا أن أساليبه ومفرداته اختيرت بفائق عناية لا تقبل التزييل أو التغيير على "الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها".(١)

أي أن القرآن ليس معجزا بمفرداته ولا معانيه، بل بوضع كل كلمة في الموقع الذي يناسبه والمعنى المراد منه، مع ترتيب لهذه التراكيب حسب معاني النحو، "كالأجزاء من الصبغ تتلاحق، وينظم بعضها إلى بعض حتى تكسر في العين".(٢)

"فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه، ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه، وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته، وحسنه، وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ودقته في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد، وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف، مما لا ينحصر حسنا وبهجه وثناء ورفعه".(٣)

---

١)) دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص ٨١، قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة مدني، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢)) الدلائل ص ٨٨.

٣)) إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ص ٢٧٦، ٢٧٧، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر.

ثانيا: حركة المعنى في سورة ق :[١]

عنيت السورة بمعالجة فساد العقيدة في أمر الألوهية وإنكار البعث، والرد على ذلك بالحجج والبراهين البينة الدامغة والتي تتمثل في العلم والقدرة والحكمة، والبعث أمر مهول يحاول الإنسان الفرار من محاولة التفكير فيه؛ بسبب الخوف منه ومن أحواله، وما يلقاه من جزاء فيه. والبعث في لسان العرب من: بعث بعثا للقوم يبعثون إلى وجه من الوجوه، وهو الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى: "ثم بعثناكم من بعد موتكم" وبعثُ الموت: نشْرُكم ليوم البعث.[٢]

وبالتأمل في آيات السورة تجد أن المعنى الأم للسورة يرسَّخ بها ما بين ترغيب وترهيب، باتصال وثيق كالعقد لا يُعرف أين طرفاه، فكل براهين إثبات البعث وقدرة المولى جل جلاله عليه واضحة بشدة، وأول هذه الحجج افتتاح السورة بالحروف المقطعة "قٓ"؛ كي ينبغي على الجميع الإصغاء لهذا القرآن الذي هو منتهى التحدي والإعجاز، ثم القَسَم بالقرآن "وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ" الذي هو المصدر الأصيل لتلقي هذه البراهين، مع نعته بالمجيد؛ زيادة في السعة والكرم؛ لما به من مضامن دنيوية وأخروية، ثم ذكر سببين لتعجب الكافرين من البعث في قوله: "بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ "، الأول: الإنذار الذي يقتضي إنكار البعث، والثاني أن المنذِر بشرا " مِّنۡهُمۡ "، لذا بادروا بالتكذيب دون تعقل فور إتيان النذير لهم "بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ "، فشرع القرآن ببراهين البعث؛ لحثهم على التأمل والتفكر "أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

---

١)) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، ج٧/ ص ٣٨٩: ٣٩٣، ص٤٤٠: ٤٤١، إشراف: أ.د/ مصطفى مسلم، جامعة الشارقة بالإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢)) اللسان ماده (ب ع ث).

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ....."، ولأن إنكار البعث هو أساس المعنى في السورة أتى لك بصورة مرئية توضيحية لما هو آت في مشهد البعث يوم القيامة، ألا وهي صورة الماء الذي ينزَّل من السماء فتنبت الأرض به فتتحول من الخلاء إلى النماء في قوله: " وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ " فالكاف في قوله: كذلك الخروج للتشبيه، أي تشبيه حال تلك الأرض بعد موتها ثم سقايتها وإنبات الحَبّ فيها فإحيائها، بحال الموتى الذين أخذهم الموت ودفنوا فلم يغادر منهم أحدا ثم إحيائهم مرة أخرى يوم القيامة، ولم يتركك المولى –عز وجل– متأملا متأرجحا دون أن يبين لك عاقبة من كذبوا بهذا البعث فقال: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ "وهذا هو المقطع الأول من السورة، ثم يأتي المقطع الثاني مخاطبا العقل والعاطفة ترغيبا وترهيبا أيضا؛ ليربط القدرة بالعلم، فيجعلك تتفحص نفسك وتتأملها؛ لأنها أقرب شيء لك بقوله: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ " ، ثم يرهبك مرة أخرى بأن كل ما يصدر منك محصىّ ومسجل فلا تجعل نفسك عُرضة للشيطان، فيجعلك تحيد عما نحذرك منه في قوله: " مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ".

ثم يأتي الحديث عن البعث مبتدئا بالموت الذي هو نقلة لدار الجزاء الذي ينكرونه بالفعل الماضي وكأنه قد حصل "وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ "، ولمّا ذكر إنكار الكافرين للبعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه تعالى ببداية السورة أعلمهم أنهم ملاقوه لا محالة وأنه قريب منهم فقال: "وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ" بالفعل الماضي أيضا؛ لأن الوعيد

يختص بالشر، والوعد قد يكون في الخير والشر[١]، فكان الوعيد مناسبا لسياق السورة.

وقابل والوعيد الذي هو من الترهيب بالترغيب والبشرى لمن آمن بالبعث واستعد له فقال: "وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ "والذي بيَّن فيها صفات المؤمن الفائز بالجنة، ثم نقلك مرة أخرى إلى التذكرة بمصارع الأقوام الغابرة، ففي المقطع الأول قال: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ .....فَحَقَّ وَعِيدِ"، وبالمقطع الثاني قال: " وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ "؛ ليؤكد على حتمية حصول البعث.

واختتمت السورة بقوله: "فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ "؛ لينوه بشأن القرآن وقدسيته الذي أقسم به في بداية السورة، كما أن الافتتاحية ذكرت قول الكافرين وتعجبهم في قوله:"بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ " واختتمت بأمر النبي–صلى الله عليه وسلم– بالصبر "فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ "، فقد قالوا بداية: "ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ "، وقال الله –عز وجل– في الختام: "ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ "، لتكون خاتمة السورة تهديدا للكافرين وتسلية للنبي الأمين.

وبالنظر إلى ختام السورة التي تسبقها وهي سورة الحجرات تجد أنها اختتمت ببيان إحاطة علم الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٢]، وجاء في افتتاحية سورة ق بقوله: "قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ " فبيَّنتْ الآية كمال علم الله –تعالى– بجميع أجساد خلقه وما تنقص منها، والتي جاء من قبلها تأكيد الله –

١)) اللسان مادة (و ع د).
(٢) سورة الحجرات آية (١٨).

سبحانه وتعالى- على إعادتها وإحيائها مرة أحرى في قوله: "أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ".

ومحور سورة الحجرات الأساسي هو أسس بناء المجتمع، ولأن أعظم أساس هو الأساس الإيماني فقد حذرت من أمور تتعلق باللسان، منها التقدم بين يدي الله ورسوله، والصبر على انتظار الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم رفع الصوت، والجهز له بالقول في قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ ، والصبر أيضا والتأني على تصديق نبأ الفاسق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ، وكذلك في سورة ق تحذير شديد من الأقوال "مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"، وبيان عاقبة التسرع والتكذيب في قوله: "بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ"، مما ينبه الإنسان مما يعرِّضه إلى شقاء الدارين.

كما أن موضوع السورة من بعدها سورة الذاريات واحد، يتفق مع السورة محل الدراسة؛ من إثبات أصول العقيدة والتوحيد والنبوة والبعث والجزاء؛ ليؤكد على صدق ما قيل في سورة ق، فقد افتتحت سورة الذاريات بالقسم بأربع من الأمور العظيمة: وهي الرياح، والسحب، والسفن، والملائكة، ليكون ختام سورة ق التذكير والوعيد، وافتتاح سورة الذاريات الإطارة والتفريق والإطاحة بكل مَن أنكَرَ البعث والجزاء الحاصل في سورة ق؛ للفرار إلى الله -عز وجل- طريق العبودية الصادقة.

ومن هذا تلاحظ الترابط والتماسك بين سور القرآن وآياته، وكيفية حركة المعنى ودورانه واختفائه مرة ومعاودته مرة أخرى حول المحور، فتتجلى عظمة الخالق، وعظمه كتابه الحكيم.

ثالثا: الآيات محل الدراسة.

قَالَ تَعَالَىٰ:

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ ق: ٢٠ – ٣٠

المقطع الأول: ذكر القيامة الكبرى (النفخ)

جاءت أدلة القرآن الكريم واضحة لا التباس فيها من خلق السماء والأرض والعباد والنبات، ولكن المشركين غضوا الطرف عنها، وآثروا التسرع بالتكذيب على التعقل والتأمل في تلك الآيات المرئية، والتي ذكرت ببداية سورة ق؛ ليبين لك أن الإسلام دين العقل لا يريد منك تصديقا مبهما بالأشياء، بل تصديقا يحتاج منك النظر إلى الآفاق من حولك، فقد كذبوا بالبعث الذي يملكون له برهانا مشاهدا لديهم من إحياءٍ للأرض الميتة وخروج النبات منها يافعا نضرا تبصرة وذكرى ورزقا للعباد كخروج الناس يوم القيامة بعد الإماتة، وكيف أغفلوا زينة الأرض والإعجاز العلمي القائم فيها، والذي كان يتوجب عليهم الاستفادة منه، ثم ذكر خلق الإنسان بعد ما ذكر له مقومات الحياة المادية بالأكل والماء، والروحية بالقرآن ورسم المنهج القويم له، فجاء المقطع الأول لبيان قدرة الله في الاستدلال على البعث في الآفاق ثم الدخول في مشهد البعث والنفخ يوم القيامة؛ ليرى الإنسان مآله الذي آلت إليه أعماله وأقواله به في الدنيا.

يقول المولى عز وجل:

(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠)

أي: هذا اليوم هو يوم النفخ في البوق؛ لإخراج الخلائق للحساب، هذا هو يوم الوعيد الذي وعد الله –سبحانه وتعالى– فيه الكافرين بالعذاب.

والمقصود بالنفخ هنا: النفخة الثانية نفخة البعث بالعطف على قوله: " وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ " ليكون قوله: " وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ " إشارة إلى الإماتة " وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ " إشارة إلى الإعادة والإحياء، وقيل: يمكن أن يكون المراد بـ(النفخ) النفخة الأولى، فيكون بيانا لما يكون عند مجيء سكرة الموت، لكن توجيه المعنى إلى النفخة الثانية أظهر وأليق لقوله: "ذلك يوم الوعيد"[1].

وإذا تدبرنا النظم القرآني تجد أنه استهل مشهد البعث بالأسلوب الخبري بقوله: " وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ " حيث خرج بالكلام عن مقتضى الظاهر؛ فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ فالنفخ لم يحدث بعد؛ للدلالة على الحصول المؤكد للأحداث. وعلى الرغم من إتيان الفعل (نفخ) في أربع سياقات أخرى بالفعل المضارع، إلا أن الموضع الذي بين أيدينا من سورة ق لم يأتِ بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة أمام السامع بل تَطَلَّبَ تحقيق الحدوث؛ ليبين ما يترتب عليه من حساب، فيزيد من الوعيد والتخويف، وهذا من عظمة البلاغة القرآنية.

والعطف بالواو –بين جملة " وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ " وجملة " وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ" بيَّنَ لك قربهما، أي: قرب النفخة الثانية من الأولى، وسرعة انقضاء

---

١)) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين، ج٢٨/ ص١٦٤ بتصرف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الوقت بينهما، وسهولة تحقيق هذا النفخ؛ حيث ينفخ إسرافيل _عليه السلام_ ملك الموت القرن؛ للبعث ومواجهة الحي القيوم.

وحُذِف المسند إليه؛ حيث بني الفعل للمفعول فقال تعالى: "وَنُفِخَ " ولم يقل: (نَفخَ إسرافيل الصور)؛ للإشارة إلى سرعة إجابة وامتثال المَلِك لأوامر الله _عز وجل_ وأن هناك قدرة خارقة هي قدرة الله _تعالى_ الذي يقول كن فيكون، فيبيد الدنيا ويزولها، ويحيي الموتى؛ لاستفائهم الجزاء الموعود.

وبالنظر للجملة الاعتراضية[١] "ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ " تجدها جملة اسمية دلت على الثبوت والتأكُّد على وجود هذا اليوم، والذي بها أتى المسند إليه معرفا بالإشارة كما هو الحال في الآية السابقة "ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ " – أي: الموت– لاستحضار الصورة أمامك، وإشارة لما في كليهما من روع وخوف شديد وفزع للسامع من هذين الحدثين، وتمنيه الهرب منهما.

وكلمة "ذَٰلِكَ" في مشهد البعث تشير إلى مصدر "وَنُفِخَ "، أي: وقت ذلك النفخ يوم الوعيد، وقيل: " ذَٰلِكَ " إشارة إلى الزمان المفهوم من الفعل نفخ؛ حيث إن الفعل يدل على الحدث والزمن، فكأنه _تعالى_ قال: ذلك الزمان يوم الوعيد[٢]، وهذا الحذف من قبيل الإيجاز؛ فالكلام على حذف مضاف، غرضه الترهيب من سرعة انقضاء الآجال ورجوعها بسرعة إلى خالقها يوم انقضاء الأعذار والآمال.

---

١)) والتقدير: ونفخ في الصور وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد.

٢)) ينظر تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بم محمد العمادي، ج٨/ ص١٣٠، دار إحياء التراث العربي. وتفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٦/ ص١٨٣، تحقيق أبي الفضل شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان. ومفاتيح الغيب ج٢٨/ ص١٦٤.

وقوله: " يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ " من قبيل المجاز المرسل علاقته الحالية؛ حيث ذكر الحال وهو: الوعيد، وأراد المحل وهو: يوم وقوع أو إنجاز أو حلول الوعيد؛ لتهويل ذلك العذاب الموعود؛ فـ"إضافة يوم إلى الوعيد من إضافة الشيء إلى ما يقع فيه"[١]

وذكر الوعيد وإن كان المراد: يوم الوعد والوعيد معا للترهيب؛ فالكلام بنى على الإيجاز بالحذف تقديره: ذلك يوم الوعيد ويوم الوعد؛ لأن المقصود من الآية هم المشركون، والدليل على ذلك البدء ببيان حال الكافرين.

وجاء النص القرآني بلفظ "النفخ" وليس (النفح) بالحاء المهملة، وكلاهما يحمل معنى إخراج الريح والدفع به، إلا أن القوة في صوت الخاء تتعانق مع دلالة الكلمة المعجمية في الإيحاء بشدة هذا النفخ، وشدة الفزع الناجم عنه، فهو[٢] حرف من حروف الاستعلاء التي هي من صفات القوة. ورغم أن الحاء حرف قد يُلفظ صوته مشددا مفخما عالي النبرة، إلا أنه في مواضع أخرى رخو رقيق مرخم، يوحي لنا بملمس حريري ناعم دافئ[٣]، والسياق يحتاج إلى حرف قوي لا يحتمل هذه الرقة والنعومة على أي حال من الأحوال؛ ليُفزع سامعه، فيرتدع وينتبه لما يقال.

واختيار كلمة "ٱلصُّورِ" بدلا من (نفخ في البوق أو القرن) من قبيل قوله تعالى: "قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ "[٤] أي: إنه يشبه أحدهما وليس

---

١)) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج٢٦/ص٣٠٧، الدار التونسية للنشر.

٢)) أسرار الحروف لأحمد رزق، ص٩٢ بتصرف، دار الحصار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٣)) خصائص الحروف العربية ومعانيها للدكتور حسن عباس، ص١٨٢، منشورات اتحاد الكتاب العربي، س١٩٩٨م، بتصرف.

٤)) سورة النمل آية ٤٢.

هو، حتى يجعل في نفس الإنسان شبيها له، فيجعله يفكر في شكله الحقيقي؛ ليترك له في النفس متسعا للتخيُّلِ، ولونا من المهابة.

ولم يقل: الحساب أو الجزاء بل آثر مادة (وعد)؛ حتى لا يتبادر في ذهن الكافر ولو لحظة واحدة أنه قد يجازى على حسن صنيعه في الدنيا، بل أعمالهم كسراب ليس لها إلا الوعيد والزجر، فطالما الكفر عالق بقلوبهم لن ينالوا إلا شرا.

المقطع الثاني: إثبات الشهود يوم القيامة

لما كان لتلك النفخة –نفخة الصور– صيحة هائلة ورجة شاملة، فقام الناس من قبورهم وحُصِّل ما في صدورهم، عطف عليه بيانا –أي على النفخ–؛ لإحاطة العرض قوله: "وجاءت كل نفس".[1]

يقول المولى عز وجل:

(وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾)

يتحدث هذا المقطع عن تدافق الخلائق يوم القيامة، وعرضهم على المولى –عز وجل– وإتيان كل نفس معها ساق يسوقها وشاهد يشهد على ما فعلته في الدنيا، فيقال للإنسان لقد كنت في غفلة من هذا اليوم، لكنَّ بصرك اليوم قوي نافذ بالغ الحدة.

ويتوالى التعبير بالأسلوب الخبري المتمثل في الجمل الفعلية بما فيها من حركة واهتزاز يزيد الأسلوب إثارة وتشويقا إلى الأحداث الباقية، حيث قال تعالى: "وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ" و"وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ" و" وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ" فكأن هذه المشاهد حدثت من ذي قبل، فلا فرار منها، ولا تَوَقُّف من الاستمرار في السرد فيها.

---

١)) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن البقاعي، ج١٨/ص ٤٢٤ بتصرف، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

وفي قوله: "وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ" جاءت "كُلُّ" تأسيسة أفادت الشمول من أصله، فهذا يوم الحساب الذي لا يترك فيه أحد.

والمراد بـ"كُلُّ نَفْسٍ" النفوس البرة والفاجرة، أي: تعم الصالحين[1]، وقال صاحب التحرير: إن الله _عز وجل_ قصد بالنفس هنا نفس المشركين- واتفق معه أبو السعود في هذا المعنى[2]- ويدل على هذا أمور أحدهما: السياق، والثاني قوله: "مَعَهَا سَآئِقٌ"؛ لأن الذي يساق هم أهل الجرائم، أما المؤمنون يسير أمامهم قائد يهديهم إلى الطريق، والثالث قوله: " لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ "، والرابع قوله: " وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ".[3]

والخطاب للنفس هنا على التغليب إذ إن المراد الشخص أو الإنسان، ولكنه أتى بلفظ عام؛ ليشمل الجن والإنس، وجميع أنواع الخلائق التي لا يعلمها إلا الله، وفيها إشارة إلى قدرة الله تعالى في إحصاء عباده وتأكيد على قوله: " قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ".

وفصل بين جملة "مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ" [4] وما قبلها على أنها حال منها أو صفة لها[1]، و أغلب الظن عندي أن التوظيف البلاغي لكونها حال

---

١)) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ج٨/ص34، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في التحقيق الدكتور: زكريا عبد المجيد النوتي والدكتور أحمد النجولي الجمل، وقرظه أ.د/ عبد الحي الفرماي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، س٢٠١٠م.

٢)) ينظر تفسير أبي السعود ج٨/ ص١٣٠.

٣)) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٦/ص٣٠٧، ٣٠٨.

٤)) اختلف في معنى السائق والشهيد: ١-السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم الأيدي والأرجل. قاله ابن عباس.

٢-السائق الملك والشهيد العمل. قاله أبو هريرة.

٣-السائق قرينها من الشياطين، سمى سائقا لأنه يتبعها وإن لم يحثها. قاله ابن مسلم.

=

أوجه من كونها صفة؛ حيث إن النعت مع كونه يفيد الديمومة كقولك: قابلت محمدا المسرور أي: هي صفة من صفاته الملازمة له، والتي تختلف عن قولك: قابلت محمدا مسرورا، فقد يكون السرور حاله في هذا اليوم لا غير، وهذا ما ظننته من هذا السياق؛ إذ إن الله _عز وجل_ أراد إظهار هيبة هذا اليوم واختلافه، فلم ير أحد منا هذا السائق والشهيد من قبل، فأراد جل جلاله بيان الحال التي استقرت عليها تلك النفوس في هذا اليوم؛ لترتدع وتتوب من أجل عظمته.

وذكر صاحب التحرير والتنوير أن جملة " مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ" بدل اشتمال من "وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ" وأظن هذا لا يتوافق مع السياق إلا في حالة واحدة: إذا كان المعنى أن السائق نفسه والشهيد جوارحه كما قال أبو السعود وصاحب روح المعاني في تفسيرهما عن تعريف السائق والشهيد، غير ذلك لا يجوز؛ إذ إن بدل الاشتمال هو البدل الدال على متبوعه، والسائق والشهيد على الرأي الأرجح ملكان، ولفظ النفس تطلق على الإنس أو الجن، فكيف يكون الثاني بدلا من الأول والبدل لا يشتمل على معاني أو صفات المبدل منه.

=

٤-السائق والشهيد ملكان. قاله مجاهد

ينظر تفسير الشعراوي، ص١٤٥٢٥، راجع أصله وحقق أحاديثه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم بمصر. نقله عن الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبدالله محمد القرطبي، ج ١٩/ص٤٤٣، ٤٤٤، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ج٢/ص ١١٧٥، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

وقال: "سَآئِقٌ " باسم الفاعل؛ ليفيد المبالغة في إهانتهم بسوقهم كالبعير من بداية مشهد البعث إلى ملاقاة جزائهم الذي وعدهم به ربهم في الدنيا، بينما عبر بصيغة المبالغة "شهيد" ولم يقل: (سائق وشاهد)؛ لأنه اجتمع عليه الشهداء في هذا اليوم (شهادة القرين، والكتاب الذي دَوَّنه الملكان طوال حياته، وشهادة الجوارح)، فأصبح يحتاج إلى صيغة تفيد المبالغة و"الدلالة على معاناة الأمر وتكراره"(١)، "فكان لمن صار له طبيعة"(٢)، لذا عبر بصيغة المبالغة (فعيل) التي تفي بهذا الغرض أكثر من دلالة اسم الفاعل، وهو انكباب الشهداء عليه، وتعريته أمام الخلائق بالإفصاح عما بدر منه من كفر وعتو.

ثم فصلت جملة "لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا" عما قبلها؛ لشبه كمال الاتصال؛ حيث أثارت الجملة قبلها سؤالا ألا وهو: ماذا بعد النفخ ومجيء كل نفس معها سائق وشهيد؟ فتكون الإجابة: "لقد كنت"، أي: استمرارية التهكم والتوبيخ والبدء في الحساب، والآية مبنية أيضا على الإيجاز: وهو إيجاز بالحذف، والتقدير: يُقال للكافر الغافل: لقد كنت، وقد يكون الخطاب عاما للكافر والمؤمن فيكون المقصود من غفلة المؤمن ها هنا: جهله بما يحدث في هذا اليوم، ولكن تقدير الخطاب للكافر أدعى لمناسبة الوعيد الظاهر من السياق.

وترى النص القرآني قد خرج بالكلام عن مقتضى الظاهر مرة أخرى والتفت من صيغة الغيبة في قوله: "وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ" وقوله: "وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ"

---

١)) معاني الأبنية في العربية، للدكتور فاضل صالح السامرائي، ص١٠٢، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢)) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، ج٥/٨٨، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

إلى صيغة الخطاب "لَّقَدْ كُنتَ"؛ حيث جعل الكلام صادرًا من الله _عز وجل_؛ ليريك شروعه تعالى في البدء بالحساب.

ولم يقل: لقد كنت (غافلا) بل قال: "فِي غَفْلَةٍ" وأغفلت الشيء: تركته غفلا وأنت له ذاكر[1]، حيث شبه المولى _عز وجل_ حال الكافر من حيث إنكاره للبعث واستمتاعه بالشهوات والملذات التي منحها الله له في الدنيا فلا يزال متلبسا بها بحال من انغمس في شيء حسي، فالتصق به لا يستطيع الفرار منه. والحرف 'فِي ' أظهر هذا التمكن وقوَّاه.

كما أن الحرف "لَّقَدْ " المتصل باللام أكد ذلك أيضا؛ فعندما صُدِّرتْ الآية به كان بمثابة التسجيل على السامع؛ إذ إن المولى _عز وجل_ هو العدل لا يظلم أحدا، بل يحاسبنا بعد النظر إلى أفعالنا والتثبت منها، فهو من قال: "مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ". كما أن تنكير كلمة "غَفْلَةٍ " جعلها غفلة تامة لا إفاقة منها.

وبالنظر والتدبر تجد أن الله _سبحانه_ عندما بدأ مشهد البعث بالنفخ عرف المسند إليه باسم الإشارة فقال: "ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ "، ومن قبلها قوله عن الموت: "ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ"؛ لتعظيم هذين الحدثين، والإنذار من إنكارهما، إذ هما آتيان لا محالة، ولكنه عز وجل في هذه الآية قال: "لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا " فاستخدم اسم الاشارة للقريب؛ لأنه يقول لك: إنه قريب منك جدا، وذلك مناسب لشروعه تعالى في الحساب بقوله: "لَّقَدْ كُنتَ " إذ إن بصدور هذا الكلام من الله _عز وجل_ له أصبح الجزاء والوعيد قريب منه؛ لذا عبر بهذا القريب ولم يقل (ذلك).

---

١)) لسان العرب مادة (غ ف ل).

وقولـه: "فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ " أي: غطـاء الغفلـة، بـه تقـديم للمعمـول _الجار والمجرور_ "عَنكَ" على المفعول به؛ للتأكيد على إزالة هذا الغطاء عنه مما يثير التخويف والترهيب بداخله؛ إذ إن الكاشف هو الله عز وجل، ويمكننا القول بأن النص القرآني أتى بالجار والمجرور ولم يحذفه لسر بلاغي، فلم يقل: (كشفنا غطاءك) بل جاء بالجار والمجرور كنوع من الإطناب البليغ غير مخل الذي أفاد التوبيخ والسخرية من تلك الغفلة التي طمستْ عقله وطبعتْ على قلبه.

وتتجلى الاستعارة المكنية في جَعْل الغفلة غطاء يغطي جسد الكافر أو عينه، ولا يستطيع أحد إلا الله أن يزيله، لذا أسند لفظ (الكشف) إلى ضمير الفاعلين العائد عليه –عز وجل– بتحويل المعنى المعنوي إلى حسي؛ ليبين لك سهولة هذا الكشف على الله سبحانه وتعالى.

ولم يقل: فكشفنا عنك غطاء الغفلة، بل نسب الغطاء لصاحبه؛ لأنه عندما تمكنت منه الغفلة تمكن هو منها أيضا فأصبح يأنس بها وبالغشاوة التي وضعتها على عينيه، فكأنه أراد أن يصل إلى معنى قوله تعالى في موضع آخر: "فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ".[1]

والفاء في قوله" "فَكَشَفْنَا" للعطف على قوله: "لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا " أتى بها لترى أن زمن الغفلة كان قريبا، فالعمر قصير سرعان ما ينقضي، وإن مكث الإنسان من العمر أرزله فهو زائل لا محال؛ لأنها دنيا فانية.

وعاودتْ الصورة البيانية ظهورها في قوله: "فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ" حيث شبه حصول اليقين للإنسان عندما كُشِف عنه غطاء الغفلة الذي كان يغمسه في الملذات والشهوات، فيجعله ينكر البعث ويسلبه جميع المُتَع، فيرى ما حُذِّر منه وهو البعث والجزاء، بالمبصر قوي النظر الذي يرى

١)) سورة المنافقون آية (٣).

الأشياء بعين صاقبة لا غشاوة عليها، على سبيل التشبيه المركب بالمفرد، والتي تتضح بلاغته في تقريب الصورة أمام السامع. أو يكون قد شبه بصره بالميزان الذي يعدل في الوزن، ويفصل بين الناس بالحق؛ إذ هو شاهد عدل عليه فيما أسلف في الدنيا على تقدير: فبصرك حديد اليوم كالميزان.

واختلف العلماء في المقول له فقالوا: إما الكافر كما ذكرت سابقا، وإما النبي –صلى الله عليه وسلم– أو المؤمن أو جميع الخلائق [1]، فإن كان المقول له النبي –صلى الله عليه وسلم– كان المقصود: أن الله –عز وجل– كشف عنه غفلة الجاهلية، وأنار عينيه بنور الإيمان فأصبح حاد البصر، أو أن المقول للجميع يشمل الإنس والجن الكافر منهم والمؤمن، فيكون المراد بكشف الغفلة، أي: الحياة بعد الموت ومعاينة الآخرة.

وعلى هذا التأويل يكون التوجيه البلاغي للإتيان بالضمير " عَنكَ" إذا كان المقول له النبي –صلى الله عليه وسلم– هو: طمأنينة النبي وبث السكينة في قلبه بأنه سينجو من غفلته بنور الحق، وأما المؤمن فقد يكون تحذيرا له؛ ليحتسب من أجل هذا اليوم والله أعلم.

وكلمه "حَدِيدٌ" كناية عن قوة البصر؛ إذ هو قوي كقوة الحديد، ولم يقل الله _سبحانه وتعالى_ بصر حاد، بل عبر بصيغة (فعيل)؛ للمبالغة في نفاذ البصر، ووصوله لحقائق الأمور في هذا "اليوم" الذي كنتم تنكرونه من قبل في الدنيا، فترى أن ذكر هذه الكلمة أدت إلى زيادة التوبيخ وعدم الاستعداد الجيد لهذا الوقوف.

وجاء النص القرآني بلفظة "وَجَآءَتْ" ولم يقل: (أتت)؛ حيث إن الإتيان يأتي في المجيء الذي فيه سهولة، أما المجيء يأتي لما فيه صعوبة، لذا

---

١)) ينظر تفسير الطبري دامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج٢١/ص٤٣٤ – ٤٣٥، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

يوجد من الفعل (يأتي) الأزمنة الثلاثة فتقول: أتى ويأتي وائتِ، بينما يصعب ذلك مع الفعل (جاء) فيلزم صيغة المضي[١]. ولما كان هذا المجيء مجيئا إلى المولى -عز وجل- خالق الكون الكبير المتعال أصبح مجيئا مهيبا من نوع خاص، تتقدم فيه النفس خطوة وترجع بقدمها مئات الخطوات؛ خوفا مما هو آت، لهذا السبب أوثر لفظ (جاء) على (أتى).

وأوثر لفظ (الغفلة) على قوله مثلا: لقد كنت في (سهوٍ)؛ لأنه لمَّا كان يوم القيامة حاصلا ماثلا أمامه، كائنا فيه بقوله: "مِّنْ هَٰذَا" كانت الغفلة هي اللفظة المناسبة للسياق؛ إذ إن "الغفلة تكون عما يكون والسهو يكون عما لا يكون؛ لأنك إذا سهوت عنه لم يكن".[٢]

وآثر لفظ (الكشف) على لفظ (أزلنا) مثلا؛ لأن لفظ الإزالة من التنحية والبعد عن الشيء، أما لفظ الكشف به معنى زائد عن الإزالة، وهو معنى الظهور والإبانة الواضحة لحقائق الأشياء.

ولكلمة "حَدِيدٌ" بلاغة صوتية لا تجدها في لفظ (قوي) مثلا؛ بسبب تكرار حرف الدال، الذي يتكون من اندفاع الهواء مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين إلى أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا، ثم ينفصلا انفصالا مفاجئا يتبعه انفجارا يولد منه ذلك الحرف الشديد المجهور[٣]، الذي به وبتكراره أعطى من القوة ما لم تعطه كلمة قوي ولا معناها.

---

١)) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني للدكتور محمد ياس خضر الدوري، ص٢٠٠- ٢٠١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنانن الطبعة الأولى، س٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

٢)) الفروق اللغوية للإمام أبي هلال العسكري: ص٧١، تقديم وتحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٣م.

٣)) ينظر الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص٥١، مطبعة نهضة مصر، بدون.

ولذلك تواطئت أغلب فواصل السورة على هذا الحرف، فلا تخفى بلاغة السجع مما ترمي إليه هذه السورة –سورة ق– التي تعالج فساد العقيدة وإنكار البعث فهذا الحرف الشديد يناسب شدة ما تتحدث عنه.

ثم قال تعالى: "وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ"

و"القرين" من قرن الشيء بالشيء، وقرنه إليه يقرنه قرنا: شدَّه إليه، والقرين: الأسير، والقرين: المصاحب، والقرين يكون في الخير والشر(١). والمقصود به هنا: إما الشيطان الذي زين له الكفر والعصيان، وهو الذي قال فيه المولى عز وجل: "وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ"(٢) وقوله: "نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ"(٣) وعلى ذلك يكون معنى الآية: إن الشيطان يقول: هذا العاصي شيء شيء هو عندي معد لجهنم، أعددته بالإغواء والإضلال. والوجه الثاني: إن القرين هو الملك، وكلمة "هذا" تشير إلى كتاب أعماله؛ وذلك لأن الشيطان في ذلك الوقت لا يكون له من المكان أن يقول ذلك القول(٤)، وهذا ما أميل إليه.

وعبر بالجملة الخبرية: "**هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ**"؛ لتفيد ثبوت هذه الأعمال لهذا الكتاب المدون لك أيها الكافر في الدنيا، وعُرّف فيها المسند إليه "هَٰذَا" بالإشارة؛ لتوبيخه، وتجسيده أمام السامع، وتلخيصه لحديث مطوي، فكأنك تقول له: ها هو الكافر مهيأ ومعد للعرض وأخْذ الجزاء على سبيل الاستهزاء به أشد استهزاء.

---

١)) اللسان مادة (ق ر ن).
(٢) سورة فصلت آية (٢٥).
(٣) سورة الزخرف آية (٣٦).
٤)) تفسير الفخر الرازي ص١٦٥.

وإذا تفقدنا النظم نجد (مَا) إما نكرة موصوفة بعتيد، وإما موصولة وعتيد خبر بعد خبر، أو خبر أصلي، أو بدل من اسم الاشاره و"مَا لَدَىَّ" هو الخبر[1]. وعلى الحكم الإعرابي لـ"ما" أنها نكرة موصوفة بعتيد يكون السر البلاغي هو: سرعة امتثال الملك لتهيئة الكافر، وإن جعلناها موصولة وعتيد خبر بعد خبر سيكون لمعنى السياق مذاقا آخر؛ حيث جعلك تقف عند قوله "هذا ما لدي" وهذه الجملة الاسمية بها ما بها من التوبيخ، وكأن الملك يصف من يسوقه بأنه لا يوجد سوى هذه المعاصي والشهوات والمهلكات التي تلقي به في جهنم، ثم يجي الخبر الثاني أي: (هو عتيد)؛ تأكيد على وقوفه وتهيئته للحساب مما يزيد من توبيخه.

كما أن اسم الموصول يفيد زيادة التقرير باستحضار جميع ما لديه من أفعال وأقوال تشينهم في هذا الموقف، ووراؤه سر بلاغي آخر وهو: استهجان التصريح بتلك الأفعال التي ارتكبها في حياته مما ينفر اللسان من النطق بها وتأبى الآذان سماعها.

والمد في قوله: (عَتِيدٌ) يبين الخيبة والهلاك الذي وقع فيه ذلك العاصي، فما هو ظاهر من كثره الذنوب لا يبشر بأي خير.

(١) التبيان في إعراب القرآن ج٢/ص١١٧٥.

المقطع الثالث: صفات أهل النار

يتحدث النص القرآني في هذا المقطع عن صفات أهل النار، الصفات التي يستحق الكافر العذاب على الإيمان والعمل بها أشد العذاب، وهي ست صفات ألا وهي: الكفر ودعم الباطل، والتكذيب بالحق والإصرار عليه، ومنع الخير سواء ماديا أو معنويا، والاعتداء على الغير باللسان وغيره من الفحش، وكثرة الشك والبعد عن التصديق بالله -جل جلاله- ورسالة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وآخرها وأشدها أن يتخذ مع الله إلها آخر من خلقه فيجعلهما سواء.

يقول المولى عز وجل:

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾

أوضحت بالمقطع السابق أن القرين إما الشيطان أو الملك، فإن كان المقصود به الشيطان، فيكون قد التُفِتَ في هذه الآية من الغيبة إلى الخطاب؛ للتوجه إلى حديث الملك الموكل بالعذاب، فيقول المولى عز وجل: "أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ" حيث تراه قد بدأ في استخدام الأسلوب الإنشائي المتمثل في الأمر؛ ليلائم العقاب المستحق لهؤلاء الكافرين.

والخطاب إما أن يكون للملكين الموكلين بسوقه، أو أن الخطاب للواحد وكأنه قال: إلق إلق؛ للتأكيد، أو أن هذه عادة العرب مثل: خليلي وصاحبي، فأتى الذكر الحكيم كما جاء عندهم.(١)

---

١)) التبيان في إعراب القرآن ج٢/ص١١٧٥، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله الزمخشري، ص١٠٤٦ ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. بتصرف واختصار.

وقدم المتعلق وهو الجار والمجرور "فِي جَهَنَّمَ" على الفاعل وهو: الكافر وصفاته، والأصل: ألقيا كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب في جهنم؛ لأنه لما كان الإنكار للبعث ديدنهم، والكفر طريقهم، والسياق يخبرك عن مصيرهم يوم القيامة، هذا اليوم الذي سيلاقون فيه حسابهم، آثر تقديم الجار والمجرور "فِي جَهَنَّمَ"؛ ليريهم جزاؤهم الذي انتظارهم سريعا، ولعلهم يرجعون يوما إلى الصواب.

و"فِي " هنا أفادت التمكن من النار، بأنهم سيكونون في أعماقها لا خروج منها.

وتناوبت الصيغ عند ذِكْر صفات هذا الكافر، فكان أولها صيغة المبالغة: فعّال، وثانيها: صيغة المبالغة فعيل، وثالثها: اسم الفاعل. والتشديد في فعّال في قوله: "كَفَّارٍ" و"مَّنَّاعٍ" أفاد التكسير من اتصافه بهذه الصفات التي تفيد شدة كفره ومنعه لجميع أنواع الخير، فهو[1] يفعلها وقت بعد وقت.

والكفر إما أن يكون كفر بالنعمة، أو كفر بالمنعم، وأعتقد أنه قصد هنا الأولى؛ لأنه ذكر الثانية في الآية التالية عندما قال: "ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ"، أو يكون قد قصد الاثنان بالآية الأولى وأتى بالثانية في الآية التي تليها؛ تكريرا يفيد التقريع والتوبيخ على هذا الكفر.

كما أن صيغة المبالغة "فعيل" دلت على مداومة الشيء والإيلاع به، فعندما قال "عَنِيدٍ" بيَّن لك تلذذه بذلك العناد حتى وإن لم يكن على حق، فهو يمارسه كصفة دائمة له.

بينما جاء باسم فاعل في قوله: "مُّعْتَدٍ مُّرِيبٍ"؛ ليعطي معنى الثبوت، وأن هذا الكافر يعتدي على غيره، ويشكك في صحة الإيمان والتصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

١)) ينظر الفروق اللغوية للعسكري ص١٤.

ونلحظ من هذا تعدد الصيغ وترتيبها تصاعديا حسب دلالة أوزان ألفاظها المرتبط بالسياق.

وقد فُصِل بين الصفات، وذلك الفصل له دلاله بلاغية وهي: أن هذه الصفات اجتمعت في موصوف واحد كالصفة الواحدة، مما أظهر شدة كفره وجحوده وعناه الذي استحق عليه هذا العذاب الشديد.

وتظهر بلاغة اللفظة القرآنية أيضا في هذا المقطع جلية، فتجد النظم القرآني قد عبر بألقياه في "أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ" ولم يقل اقذفاه أو ارمياه أو اطرحاه أو انبذاه ؛ إذ إن الأصل لما تقدم هو الرمي حيث يكون للأعيان كالسهم والحجر، ويقال في الكنايات كالشتم كقوله تعالى: "وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ"[(١)]، والقذف هو الرمي من بُعْد، والطرح والنبذ كلاهما إلقاء الشيء وإبعاده لقلة الاعتداد به، والنبذ أشد من الطرح، أما الإلقاء هو طرح الشيء في المكان الذي تريده، وحيث تراه، أو حيث تحب[(٢)]. وإذا نظرنا إلى السياق تجده آثر الإلقاء عليهم جميعا؛ لأن الكافر ماثل أمام الملك ينتظر جزاءه، فكان الإلقاء أبلغ؛ لقربه من جهنم التي هي على مرأى من العين.

كما أن الإلقاء هو الطرح دفعا من غير مشقة[(٣)]، وهذا هو الحال؛ لأن عذابه أمر ليس بشاق على المولى عز وجل، والإلقاء من أعلى إلى أسفل كقولك: ألقت الباخرة مراسيها[(٤)]، مما يبين مصيره من النار وهو الدرك الأسفل منها.

---

(١) سورة النور آية (٤).

٢)) الفروق اللغوية في القرآن الكريم للدكتور عبد الجبار فتحي زيدان، ص١٨٦، العراق الموصل، س١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، بتصرف.

٣)) نظم الدرر ج١٨/ص٤٢٦.

٤)) اللسان مادة (ل ق ي).

وقال "جَهَنَّمَ " ولم يقل (النار)؛ لأنها "اسم النار الآخرة من الجهامة وكراهة المنظر"[1]، "وهي نار على نار، وجمر على جمر، فهي تفيد بُعد القعر".[2]

وكلمه "مُّرِيبٍ " أنسب للسياق من التعبير بالشك؛ لأن[3] الشك أعم من الريب؛ إذ يستوي فيه الطرفان أو الاحتمالان دون ترجيح، أما الريب فيتميز بالخوف والكراهة.

ثم قال: "ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ "

أسلوب خبري يؤكد على كفره ويزيد من التهكم به، فقد بدأ الجملة باسم الموصول؛ لينبه المخاطب إلى خطئه في تشريكه إلها مع الله عز وجل.

وقدَّم الظرف على المفعول: "مَعَ ٱللَّهِ" والتقدير: (الذي جعل إلها آخر مع الله)؛ للتوبيخ من هذا الفعل العظيم؛ فـ(مع) تفيد المصاحبة واجتماع الشيئين، فكيف يؤمن بالله ويجعل معه إلها آخر، مما يدل على ضعف عقله وكثرة معاصيه.

ونعت الإله الذي جلبه شريكا مع الله بالآخر؛ مأخوذ من التأخر؛ للدلالة على رداءه ما اتخذه شريكا.

---

١)) التوقيف على مهمات التعاريف للشيخ الإمام عبد الرءوف بن المناوي، ص١٣٣، تحقيق: الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، دار عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. (باب الجيم فصل الهاء).

٢)) الفروق اللغوية للعسكري ص٢٢١.

٣)) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، للدكتور محمد محمد داوود، ص٢٧٧، دار غيب للطباعة والنشر بالقاهرة، ص٢٠٠٨م.

والفاء في قوله: "فَأَلۡقِيَاهُ " لسرعة الإلقاء، فقد طال انتظار المولى –عز وجل– له في الدنيا حتى يتوب ويرجع عما كان عليه من الكفر، ولم يجد هنا في هذا اليوم إلا العجلة في تنفيذ الحكم عليه.

واختلف النظم في هذه الآية عن سابقتها؛ حيث قال هناك: "أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ....." فجاء بالفعل عاما دون ضمير يعود على الكافر، بينما عوّد الضمير في هذه الآية على ما قبله فقال: "فَأَلۡقِيَاهُ" على الذي جعل مع الله إلها آخر؛ إذ إن عذابه يختلف عما قبله، فقد جعل مع الله إلها آخر للعبادة، وهذا الجرم الأكبر يقابله التوبيخ الأكبر؛ برد الضمير إليه والتقليل من شأنه؛ لأن ضمير الغائب يزيد من هذا الاستهزاء ويقويه.

وقوله "فِي ٱلۡعَذَابِ " مجاز مرسل؛ إذ ذكر الحال وأراد المحل، أي: ألقياه في المكان الذي يشعر فيه بالعذاب.

ووصفه بـ" ٱلشَّدِيدِ" من قبيل المجاز العقلي؛ حيث تجوز في البنية الوصفية؛ فالعذاب يكون مشدد وليس شديد.

وبين قوله: (عَنِيدٍ) وقوله: " عَتِيدٌ " في الآية السابقة "هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ" – جناس غير تام أعطى جرسا نبه سامعه إلى أن عاقبة العند لا تُنسى، بل هي حاضرة وقت مثوله في هذا اليوم، يجازى عليها، لا مفر منها.

وقد ورد النص القرآني بلفظ (جَعَلَ) مع الله ولم يقل: (أشرك) بالله، أو (كفر) بالله، وإذا نقبنا عن معاني المفردات الثلاث سنجد أن الشرك هو أن تشرك غير الله مع الله في العبادة وفي الإلوهية[١]، والكفر تغطية توحيد الله بإنكاره[٢]، وأما الجعل فمن معانيه الحكم بالشيء على الشيء حقا كان

١)) الفروق اللغوية في القرآن الكريم للدكتور عبد الجبار فتحي زيدان، ص١٧٤، العراق الموصل، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٢)) الفروق اللغوية في القرآن الكريم ص١٧٥.

أو باطلا، وهو المعنى الذي ناسب السياق؛ فقد حكم الكافر بمعية إله آخر لله –تعالى– وهذا حكما باطلا، ويختلف عن المعنيين السابقيين – معنى الشرك والكفر–؛ إذ إن الجعل في هذا السياق أشعرك أن الكافر قاضيا مدركا لقوانين العبادة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى واع لها، عَرِفها ثم أغفل عينه عنها وأصدر حكما باطلا لصالحه يتماشى مع رغباته وشهواته، وهو أن يجعل لله شريكا يحل له ما حرم الله.

وأوثر لفظ "الله" في هذا المقام ولم يقل أي اسم آخر من أسماء الله الحسنى؛ لأنه أعظمها؛ فهو دال على الذات الجامعة لصفات الألوهية كلها، وهو أخص الأسماء؛ إذ لا يطلقه أحد على غير ذاته سبحانه وتعالى لا حقيقه ولا مجاز، وسائر الأسماء قد يتسمى بها غيره إلا هو.[١]

وعبَّر بلفظ "ٱلۡعَذَابِ " الأبلغ في سياقه من لفظ العقاب، لأن العذاب يتضمن دائما ملمح الشدة حتى وإن لم يوصف بالشديد أو الاليم، أما العقاب فقد يكون يسيرا أو شديدا، إذ هو مرتبط بالذنب، فإن عظم عظم، وإن صغر صغر[٢]، والكافر هنا عندما بلغ مبلغا عظيما في الشرك أتى له بلفظة ذات ملمح شديد.

ووَصْفُها بالشديد أعطاها حقها من العذاب الذي يليق به.

١)) ينظر المختصر في معاني أسماء الله الحسنى، أستاذ محمود سامي بك، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة حجازي، القاهرة، ص١٣.

٢)) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ص٣٤٣.

المقطع الرابع: اختصام الكافر وقرينه

يقول المولى –عز وجل– في كتابه الكريم إن الإنسان يدَّعي على شيطانه أنه أضله، ولكن قرينه يرد عليه ويكذبه وينسب إليه الضلال، فلا يسير أحد في هذ الطريق بالإكراه، بل هو محب لذلك متلذذ به.

قال تعالى:

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

القرين في قوله: "قَالَ قَرِينُهُۥ" يعود على شيطانه، لم تعطف هذه الجملة بالواو؛ لأنها استأنفت كما استأنفت الجمل في حكاية التقاول في مقاولة موسى وفرعون، فجرت بين الكافر وقرينه، بخلاف قوله: "وَقَالَ قَرِينُهُۥ" من قبله، عطفت؛ للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول، أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قاله له.[1] وفي الكلام إيجاز طوى كلام صاحب القرين، أي: هذا القرين أطغاني وغرَّني وأسقطني في الهوى، فرد عليه القرين بـ"رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ".

وقوله: "رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ" أسلوب إنشائي متمثل في النداء محذوف الأداة، حيث بنيتْ الجملة على الإيجاز بالحذف أي: يا ربنا، ويكأنه قريب من ربه يحبه ويتقيه، مما يثبت له مهارته في ابتداع الحيل التي كان يختلقها؛ ليُغوي متبوعه، ولكن اليوم لن تنجح في التخلص من مصيبته !

ثم أتى بالاستدراك "وَلَٰكِن"؛ لدفع توهم أنه –أي القرين– هو الذي أودى به إلى هذا المآل، وأكد ذلك بقوله: "كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ"، جملة خبرية تؤكد على ضلاله منذ القدم، فالفعل "كَانَ" فعل ماض أي: كان الطغيان صفته وطريقه لا يحتاج إلى أحد يسوقه إليه. فكان كلام القرين بالفعل الماضي الذي يثبت له الضلال من القدم وملازمته له.

---

١)) تفسير البحر المحيط ج٨/ ص ١٢٥.

وقوله: "فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ " تجوز في النسبة الوصفية؛ إذ البعيد هو الضال وليس الضلال.

وعلى حسب المعنى اللغوي لكلمة الضلال يكون المعنى: إما أن هذا الكافر كان ضالا تائها ضائعا في الدنيا بسبب ما قدمه لنفسه من كثرة المعاصي، أو أنه كان هالكا بسبب ضلاله في دينه وكفره بربه، ولذلك سيكون الهلاك نصيبه في الآخره أيضا.[١]

ومن دقة النظم القرآني أنه جعل القرين ينعت متبوعه في بداية الآية بالطاغي عندما قال: "ما أطغيته"، وفي نهاية الآية بـ(الضال) عندما قال: "كان في ضلال بعيد" مما يبين لك احتياله وبذل قصارى جهده في الفكاك والفرار بنفسه من هذا العذاب؛ لأنه يوجد ثمة فرق بين اللفظتين كما أوضحت سابقا؛ فقد يتبعه متبوعه عن جهل دون قصد ولا علم، لذا هو الضال الذي يجور عن الحق عن جهل، مما يدين القرين الذي يريد إيقاع متبوعه في الجحيم ونسبة الطغيان له عندما قال: "ربنا ما أطغيته"؛ ليفر بنفسه وينجيها من عذاب هذا الاتباع.

وعبر بـ(الطغيان) ولم يقل: (ما أفسدته) أو (أغويته)؛ لأن الفساد يقتصر على التغيير في المقدار الذي تدعو إليه الحكمة، كما أن الفساد قد يكون قبيحا وغير قبيح كفساد التفاحة مثلا، بخلاف الغيّ الذي هو أصل الفساد ولكنه فساد قبيح[٢]، إلا أن النظم القراني آثر كلمة الطغيان؛ لأن السياق تطلبها، فعندما ذكر المولى –عز وجل– صفات هذا الكافر المنكر للبعث بأنه هو الكفار العنيد المناع للخير المعتدي المريب ثم قال: الذي جعل مع الله إلها آخر ناسب ذلك كلمة الطغيان بمعناها اللغوي "وهو

١)) ينظر معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص٣٤٣.
٢)) ينظر الفروق اللغوية للعسكري ص١٥٦.

مجاوزه الحد في المكروه مع غلبة وقهر"[١]؛ لأن هذا الكافر لم يترك صفة لم يتصف بها، ولكنه عندما تجاوز الحد بادعائه شريكا لله ناسب ذلك قوله: أطغيته.

وإذا نظرنا للدلالة الصوتية لكلمة (الطغيان) تجد أنها ذات جرس عال وإيقاع عنيف يتوافق مع هذا المشهد؛ حيث إن حرف الطاء حرف انفجاري من حروف الإطباق، فالصوت فيه بين اللسان والحنك وما يصاحب ذلك من حبس للهواء القادم من الرئتين[٢] مما يناسب شدة كفره ولهوه وانحصاره فيه. والغين حرف من حروف الجهر الذي يصدر رنينا عند النطق به كدوي النحل، حرف رخو يجري الصوت معه[٣]، مما يصور جريان الكافر واستمراره في الفساد، وغرقه وانغماسه الذي لا يستطيع الانفكاك عنه. وأكد على ذلك المد بالألف الذي صور استطالة الحدث واتساع مداه.

وأخيرا تلحظ هيمنة الحوار القصصي على هذا المقطع بين الكافر وقرينه، واختصامها حول مَن أضلَّ الآخر، ومَن التابع من المتبوع، في صورة موجزة تحكي أهم الأحداث التي تجعل القارئ يعيش الأحداث بنفسه لحظة بلحظة، كالحاضر فيها، كما أنه جعل المستمع كالشاهد الفصل بينهما، يلوم عليهما زيادةً في الاستخفاف بهما.

---

١)) الفروق اللغوية للعسكري ١٦٧.

٢)) في البحث الصوتي عند العرب للدكتور خليل إبراهيم العطية، ص٣٦، ٥٥، بتصرف، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، س١٩٨٣م.

٣)) أسرار الحروف ص٩١.

المقطع الخامس: الجزاء من جنس العمل

بعد تخاصم الكافر وقرينه بالآية السابقة "قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ" أراد المولى –عز وجل– الفصل بينهما بالعدل فقال:

﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

ينهى الله –سبحانه وتعالى– في كتابه الحكيم عن التخاصم يوم القيامة؛ إذ لا مجال له اليوم؛ فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف ولا تبديل لقول الله وحكمه، هو الله الذي لا يظلم أحدا من عباده في أي زمان من الأزمان، فما بالك بهذا اليوم الذي سيلاقي فيه الكافر نهاية عصيانه وعناده، فيُلقى في جهنم ماكثا فيها أبدا.

وبالتدبر في النظم القرآني تلحظ الفصل بين الآيتين "قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ" و"**قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟**" لشبه كمال الاتصال، استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله، فكأنه قيل: فماذا بعد هذا التخاصم بين الكافر وقرينه؟، قال الله تعالى: قال لا تختصموا.

وقوله: "لَا تَخْتَصِمُوا۟" أسلوب إنشائي، نهي غرضه التيئيس، فلا داعِ للتخاصم في هذه الحضرة؛ فهذا الوقت وقت الحساب، لا وقت التخاصم والعتاب. وقوله: "لَا تَخْتَصِمُوا۟" لا ينهى عن الاختصام؛ لأنه قد وقع بالفعل عندما قال: "قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ" وإنما يريد به النهي عن المداومة عليه؛ لعدم الفائدة منه. ويدل عليه أيضا واو الجمع في جملة "تختصموا" التي تنبئ عن الإيجاز البليغ؛ حيث يوضح تخاصم القرين مع الكافر وطي الكلام بينهما.

والمشهور أن "لَدَىَّ "متعلق بالفعل، على أن المراد بالقول ما يشمل الوعيد والوعد، أي: لا يقع التبديل عندي.[١]

وقوله: "وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ" كناية عن رفع رحمة الله عنهم فلا مغفرة لهم ولا عفو؛ لأنه قد مضى وقت التحذير والنقاش، والواو واو الحال، والجملة حال من ضمير تختصموا، معللة للنهي عن التخاصم.

وقوله: "وَقَدۡ" هنا للتأكيد على هذا التقديم، والتحذير لهم في الدنيا؛ حتى لا يلاقوا هذا الوعيد في الآخرة.

وقال: "لَدَىَّ" ولم يقل: (عندي)؛ لأن (عند) في لسان العرب لما ظهر، و(لدن) لما بطن، فيكون المراد من "لدي": دار الجزاء، هذا المكان الذي لم يراه أحد من قبل وقد انكشف إليكم الآن.[٢]

وجاء التعبير بقوله: "تَخۡتَصِمُواْ " ولم يقل: (تخاصموا)؛ لأن صيغة افتعل تفيد "المبالغة في معنى الفعل"[٣]، أي: بالغوا في خصامهم واختلافهم الذي لا معنى له هنا.

وقال: "قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم" ولم يقل: (قدمت لكم)؛ ليكون التقديم إليكم خاصة، والفعل هنا إما يكون لازما بمعنى تقدمت أي: قد تقدم قولي لكم ملتمسا بالوعيد، فتكون الباء للتعدية، أو يكون متعديا، أي: قدمت الوعيد إليكم فحذرتكم في الدنيا من هذا الكفر حتى لا تلاقوا هذا الوعيد في الآخرة، ولذلك فلا صحة لهذا الاختصام الذي لا جدوى منه، وعليه تكون الباء مزيدة.

---

١)) تفسير روح المعاني ص١٨٧.

٢)) معجم الفروق الدلالية في القران الكريم ص ٥٥٨.

٣)) شذا العرف في فن الصرف: تأليف الشيخ أحمد الحملاوي، ص٤٦، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، دمشق سوريا، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

ثم قال: "مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ "

بفصلها عما قبلها؛ حيث إن هذه الجملة مؤكدة لقول "لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ" تأكيدا معنويا؛ لأن معنى الجملة الأولى "لَا تَخْتَصِمُوا۟" النهي عن الاختصام الذي لا فائدة منه في هذا اليوم يوم الحساب، وهذا هو معنى قوله: "مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ" الذي ينفي تغيير القول لديه –سبحانه وتعالى– فلا داعي للاختصام.

وتراه عبر بالجملة الخبرية المتمثلة في الفعل المنفي "**مَا يُبَدَّلُ** " والجملة الاسمية المنفية "**وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ**"؛ لأن ثبات الله على وعيده للكافر ووعده للمؤمن والعدل بينهما يتطلب ذلك الثبوت والاستقرار الناشيء من هذا الأسلوب الخبري.

كما أنه جعل الفعل مبنيا للمجهول فقال: "يُبَدَّلُ"؛ لتعظيم ذلك القول؛ لأن هذا النفي كناية عن عدم رجوعه تعالى في عقابه المستحق لهم؛ وذلك ليقطع لديهم باب الأمل، وفي المقابل لن يبدل وعده الذي وعده لعباده المؤمنين.

و(أل) في كلمه "ٱلْقَوْلُ" للعهد الخارجي الكنائي، فما وعد الله –تعالى– به واقع لا محال، فتقدم لمدخولها –أي أل– ذكر كنائي فُهِمَ ضمنا من قوله: "وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ".

ثم قال: "وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ " أسلوب نفي، كناية عن عدل الله – سبحانه– في الحكم بين عباده.

وعبر بصيغة "بِظَلَّٰمٍ " وهي صيغة مبالغة إما:[1]

١)) ينظر تفسير الفخر الرازي ج٢٨/ص١٧١، ١٧٢، وتفسير الشعراوي ص١٤٥٣١.

١- لأنه لا يتحدث عن عبد واحد بل عباد كثيرين، فتكون صيغة المبالغة نفيا لظالم أيضا، أي نفيا لظلم كل واحد من عباده على حدا.

٢- أنه عندما يتناسب الظلم تناسبا طرديا مع قوة الظالم أتى بالمبالغة؛ لتناسب تلك القدرة قدرة الله عز وجل.

٣- أن تكون صيغة ظلام لا يراد منها المبالغة بل النسب فقط؛ لأن الله لا يظلم مطلقا لا بالكثير ولا بالقليل.

٤- لأن الله إذا ظلم عبده الضعيف الذي يستحق رحمته لكان ذلك غاية الظلم، فيلزم نفي كونه ظلاما، وذلك ينفي أيضا كونه ظالما.

ولذلك اتصل خبر (ما) بالياء -ويكثر ذلك- فقال: "بِظَلَّٰمٍ"، فعومل معاملة المفعول به الذي لا يكون تعلقه بفعله ظاهرا غاية الظهور، ولما كان هذا المعنى لا يليق به تعالى أضيفت الياء؛ لتبين ذلك المعنى المنفي في حقه جل جلاله.

وأتى باللام المقحمة، وهي المعترضة بين المتضايفين فقال: "بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ" ولم يقل: (ظلام العبيد)؛ "تقويةً للاختصاص"[١]؛ حيث إنه لو اقتصر على قوله: "وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ" لكان للعموم، فأتى بلفظ العبيد "لا لكون الظلم مختصا بهم، بل لكونهم أقرب إلى كونهم محل الظلم من نفسه تعالى"[٢].

ولم يقل: (لست بظلام) بل آثر هذا التركيب "وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ"، بجَعْلِ الضمير منفصلا؛ للتأكيد على أن الظلم لا يليق بعزته -تعالى- فالضمير المتكلم هنا للتعظيم والتنزيه عن ذلك.

---

١)) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: للإمام جمال الدين بن هشام، ج٢٩٧/١، تحقيق: أ.د/ صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج١٧٣/٢٨ بتصرف.

وإذا نظرنا إلى اللفظة القرآنية نجد الذكر الحكيم آثر التعبير بـ(ما) في قوله: "مَا يُبَدَّلُ" ولم يقل: (لا)؛ لأنه لمّا كانت الأوقات كلها عنده سبحانه وتعالى حاضرة عبر في تعليل ذلك بـ(ما) التي هي للحاضر دون لا التي هي للمستقبل.[١]

وعبَّر بقوله: "يُبَدَّلُ" ولم يقل: (يُغيَّر) وذلك من دقة نظم هذا الكتاب العظيم؛ لأنه إن كان المقصود هنا من معنى "ٱلْقَوْلُ" في قوله: "مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ" القرآن الكريم، فتكون الكلمة –أي القول– مجاز مرسل علاقته الجزئية، عبر بالجزء وأراد الكل، وعلى هذا يكون معنى التبديل مناسب لسياق الآية؛ حيث إن معناه[٢]–أي التبديل– تغيير جوهرة بجوهرة أخرى، أو تبديل ذات بذات أخرى، فيكون المعنى المراد: ما يبدل هذا القرآن بقرآن أخر غيره. أما إن كان معنى "ٱلْقَوْلُ": الآيات المنذرة أو المحذرة بالعذاب والوعيد، والكافر يريد تغيير هذه الآية، فيتراءى إليك أن كلمة التغيير وهي[٣]: التحول من حال إلى حال مع بقاء الحال الأولى أنسب من التبديل، ولكن يصح أن يكون قد استعار التبديل للتغيير لغرض بلاغي ألا وهو: المبالغة في النفي، حيث جعل الله –عز وجل– نفْي التغيير كنفْي التبديل، فلا سبيل لهم اليوم في الخلاص من هذا العذاب ولا جزء منه؛ لأن الله –عز وجل– قد حذرهم في الدنيا أكمل تحذير.

وعبر بلفظ "العبيد" ولم يقل: (العباد)؛ لأن عبيد جمع عبد، وعباد جمع عابد، وفي سياقات القرآن الكريم المتعددة تجد كلمة عباد ملاصقة للفظ الجلالة يقصد بها الصالحين كقوله تعالى: "وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ

١)) نظم الدرر ج١٨/ص٤٢٩.
(٢) لسان العرب مادة (ب د ل).
(٣) لسان العرب مادة (غ ي ر).

يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا "[١]، أما (عبيد) فلفظ شامل يشمل الصالح والطالح، لذلك أتى به في هذا المقام؛ لأن الله –عز وجل– لا يظلم أحدا منهما. وآثر لفظ (العبيد) على (الناس)؛ لأن الناس يقصد بها بنو آدم، أما العبيد يشمل الإنس والجن وجميع خلق الله، فتجده تعالى يريد "زيادة تقرير معنى الظلم في نفوس الأمة، فإذا انتفى الظلم من الخالق إلى المخلوق انتفى من الناس بعضهم بعضا"[٢].

ثم قال: "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ "،

اتصل الفعل "**نَقُولُ**" بنون العظمة؛ لأنه كلام المولى عز وجل، وعلى رواية نافع وعاصم "يوم يقول" يكون قد التفت النص القرآني من التكلم للغيبة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ عن الله جل جلاله هذا الكلام الذي ينبئ عن العذاب؛ تكريما له على ما فعلوه هؤلاء الكفار به من تكذيب واستهزاء بالدعوة.

وقوله "يَوْمَ " يجوز أن تكون إما:

مفعول لفعل محذوف تقديره: اذكر يوم، أو ظرف لظلام (أي وما أنا بظلام يوم نقول)، فيكون تعالى قد خصص النفي بالزمان، ومنه إلى جميع الأزمان أيضا؛ لأن النفي الخاص أقرب إلى التصديق من العام. أو منصوب بنفخة في قوله: "وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ" وهذا ضعيف؛ لأن زمن النفخ ليس زمن القول، كما أنه فصل بين العامل والمعمول بجمل كثيرة وذلك مخل بالفصاحة.[٣]

(١) سورة الفرقان آية (٦٣).
٢)) تفسيرالتحرير والتنوير ص٣١٧.
٣)) تفسير روح المعاني ١٨٧.

وإما أن تكون كلمة (يَوْمَ) ظرف متعلق بقوله: "لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ" ومناسبة تعليقه أن هذا القول لجهنم مقصود به ترويع المدفوعين إليها، فلا يطمعوا في أنهم مما قد يعفى عنهم بسبب كثرتهم، فتضيق جهنم ولا تتسع لهم، بل هي مهيئة لتسع الجميع.(١)

وقوله: "هَلِ امْتَلَأْتِ" استفهام تقريري، يفيد امتلاء جهنم بالكافرين، وذلك تصديقا لقوله تعالى: "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ"(٢)، ويكون غرضه التعريض بالكافرين وترهيبهم.

وقوله: "وَتَقُولُ" –أي جهنم– تجيب طاعة ومحبة وامتثالا لله تعالى. وقولها إما على الحقيقة، أو على سبيل المجاز اللغوي، استعارة مكنية حيث جعل حالها وهي تتعيظ بالكافرين فتصدر أصواتا كالإنسان الذي يتحدث ويشكل جملا مفهومة بها يجيب.

أو يكون الكلام على حذف مضاف، أي: وتقول خزنة جهنم.

وقوله: "هَلْ مِن مَّزِيدٍ" إما أن الاستفهام للتقرير الذي يؤكد على امتلائها وينفي احتياجها، فالمولى –عز وجل– يقول: هل امتلأت، وتقول: يارب وهل بقى لي مكان، فقد امتلأتُ واستكفيت، وإما أن يكون الاستفهام للتمني والشوق إلى الاستزادة من هؤلاء الكافرين.

وقوله "مَّزِيدٍ" إما أن يكون مصدر ميمي أي: هل من زيادة؟، أو اسم مفعول من زاد، أي أن جهنم تطلب المزيد، يدل على المبالغة في طلب الكافرين. أعاذنا الله من النار وزائريها.

---

١)) ينظر تفسير التحرير والتنوير ٣١٧.

(٢) سورة الأعراف آية (١٨).

الخاتمة

بعد هذا التطواف في آيات الذكر الكريم من سورة ق بآيات البعث والوعيد يخلص البحث إلى:

- اتصال الآيات محل الدراسة بالمكان الذي وضعت فيه اتصالا وثيقا، أولا بمحور سورتها الذي يرتكز على إثبات العقيدة وبالسورة من قبلها التي ترسخ أسس المجتمع وعلى الأخص الأساس الإيماني، والسورة من بعدها من لزوم الفرار إلى الله، فلا مهرب منه إلا إليه.
- دقة بلاغة النص القرآني في اصطفاء الأسلوب الجزل الشديد لمشهد البعث والوعيد؛ من أجل الترهيب والتخويف والاستعداد له، مما يتناسب مع المعنى المحوري للسورة وهو الدفاع عن العقيدة وإنكار البعث.
- لما أراد الله الرد على منكري البعث وإثباته بالأدلة والبراهين استخدم الأسلوب الخبري الذي يدل على الثبوت في أكثر المواضع، وظهر الأسلوب الإنشائي وقت الانفعال عند التخاصم ليبن مدى رهبة الكافر والقرين ورغبتهما في الفرار من هذا اللقاء.
- كان لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر ظهورا ملحوظا تمثَّل في التعبير عن المستقبل بالفعل الماضي، مما أبرز غير الحاصل في معرض الحاصل، ودل على صدق ما ورد في القرآن الكريم وصدق نبيه الكريم.
- لعب الفعل المضارع دورا في استحضار الحدث وقت التخاصم ووقت الاستعداد لتلقي الجزاء في قوله: "لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ" وقوله: "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ".
- تناوبت الصيغ للحديث عن هذا المشهد من اسم فاعل، واسم مفعول، ومصدر ميمي، وصيغ المبالغة المتعددة التي كان لكل واحدة منهم معنى خاص يتناسب مع المعنى المراد.
- كان للاستفهام دور هام في أخذ الحجة على الكافر، والتقرير على ما كان عليه من كفر وعتو، مما أعطى نوعا من التعريض الشديد بهم.

- كان للفصل والوصل بلاغة مؤثرة في معرفة بداية السرد ونهايته وترابط الأحداث وتناغمها.
- جاء العطف بالفاء كثيرا في آيات الوعيد؛ ليريك سرعة تنفيذ الأحكام في هذا اليوم المهيب، فلا مبدل لحكمه تعالى.
- راعى القرآن الكريم الجانب النفسي للمرء في هذا اليوم لذا كثر الإيجاز بالحذف؛ لضيق المقام.
- كان للمجاز بأنواعه دور ملحوظ، ما بين مجاز لغوي ومرسل وعقلي بالغ من روع المشهد.
- لما كان السياق سياق ردع وحساب قلَّت الصورة التشبيهية، فلم تأتِ بعد إلا في موضع واحد تطلَّبه السياق، بينما كثرتْ الصورة الكنائية في ثنايا البحث؛ لأنها تحتاج إلى إمعان فكر، والسياق يحتاج أيضا للتأمل والتدبر ودقة النظر.
- اختيار حرف شديد انفجاري للفاصلة القرآنية التي تعبر عن الوعيد، وهو حرف الدال يحسم الأمر في هذا اليوم العصيب.
- كان للفروق اللغوية دور في إظهار اصطفاء المولى –عز وجل– للكلمة المفردة التي ناسبت السياق، فلا يمكن وضع كلمة مكان أخرى، بل كل كلمة أختيرت بفائق عناية لهذا التركيب.
- للبلاغة الصوتية دور في توضيح المعنى المراد، فاصطفاء المفردات ذات الجرس العالي والحروف المجهورة الشديدة ناسبت السياق وقوته.
- استخدم القرآن الأسلوب القصصي في كثير من المواضع، وها نحن في موضع منها؛ حيث إن الحوار بين الكافر والقرين ونهْي الله –جل جلاله– عن اختصامها استحضر صورة الوعيد، لعل من يسمعها يتصورها وينتهي عن كفره.
- مناسبة الذنب للعقاب عندما ذكرت صفات أهل النار، فعلى الرغم من أن هذا الكفار المناع للخير المعتاد الأثيم مصيره النار، إلا أن الشرك

بالله له العذاب الشديد بجميع أنواعه وأشكاله وديمومته في قوله: "أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ....."

وأخيرا

إن القرآن الكريم لم يكن معجزا هباء، فهو أصل البلاغة لكل زمان ومكان.

ومن أهم التوصيات:

- دراسة الفروق اللغوية وآثارها في السياق القرآني والنبوي والشعري.
- البلاغة الصوتية ودلالتها في السياقات المعتددة.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١) أسرار الحروف لأحمد رزق، دار الحصار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، بدون.

٣) إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر.

٤) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بم محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي.

٦) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في التحقيق الدكتور: زكريا عبد المجيد النوتي والدكتور أحمد النجولي الجمل، وقرظه أ.د/ عبد الحي الفرماي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، س٢٠١٠م.

٧) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

٨) تفسير الشعراوي، راجع أصله وحقق أحاديثه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم بمصر.

٩) تفسير الطبري دامغ البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١١) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله الزمخشري، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. بتصرف واختصار.
١٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف: أ.د/ مصطفى مسلم، جامعة الشارقة بالإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
١٣) تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق أبي الفضل شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
١٤) التوقيف على مهمات التعاريف للشيخ الإمام عبد الرءوف بن المناوي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، دار عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق وتعليق د/محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.
١٦) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبدالله محمد القرطبي، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها للدكتور حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العربي، س١٩٩٨م.

١٨)دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني للدكتور محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنانن الطبعة الأولى، س٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.
١٩)دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة مدني، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٢٠)شذا العرف في فن الصرف: تأليف الشيخ أحمد الحملاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، دمشق سوريا، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٢١)الفروق اللغوية في القرآن الكريم للدكتور عبد الجبار فتحي زيدان، العراق الموصل، س١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.
٢٢)الفروق اللغوية في القرآن الكريم للدكتور عبد الجبار فتحي زيدان، العراق الموصل، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.
٢٣)الفروق اللغوية للإمام أبي هلال العسكري: تقديم وتحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٣م.
٢٤)في البحث الصوتي عند العرب للدكتور خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، س١٩٨٣م.
٢٥)لسان العرب لجمال الدين ابن منظور، دار بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ،.
٢٦)المختصر في معاني أسماء الله الحسنى، أستاذ محمود سامي بك، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة حجازي، القاهرة.
٢٧)معاني الأبنية في العربية، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٨)معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، للدكتور محمد محمد داوود، دار غيب للطباعة والنشر بالقاهرة، ص٢٠٠٨م.

٢٩)مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: للإمام جمال الدين بن هشام، تحقيق: أ.د/ صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٣٠)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
٣١)همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

References :

- **alquran alkarim.**

1) 'asrar alhuruf li'ahmad razqa, dar alhisar lilnashr waltawziei, tabeat 'uwlaa, 1993m.
2) al'aswat allughawiat lilduktur 'iibrahim 'anis, matbaeat nahdat masir, biduni.
3) 'iiejaz alquran li'abi bakr muhamad bin altayib albaqlani, tahqiq alsayid 'ahmad siq, dar almaearif bimasr.
4) altibyan fi 'iierab alquran li'abi albaqa' eabd allah bin alhusayn bin eabd allah aleakbiri, tahqiqu: eali muhamad albijawi, alnaashir: eisaa albabi alhalabi washarikah.
5) tafsir 'abi alsueud almusamaa 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alquran alkarim, li'abi alsueud muhamad bim muhamad aleamadii, dar 'iihya' alturath alearabii.
6) tafsir albahr almuhit limuhamad bin yusif alshahir bi'abi hayaan al'andalsi, dirasat watahqiq wataeliq alshaykh: eadil 'ahmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad washarak fi altahqiq alduktur: zakariaa eabd almajid alnuwti walduktur 'ahmad alnajuli aljumla, waqarzuh 'u.da/ eabd alhay alfarmay, dar alkutub aleilmiati, bayrut lubnan, altabeat althaalithati, s2010m.
7) tafsir altahrir waltanwir lilshaykh muhamad altaahir bin eashur, aldaar altuwnusiat lilnashri.
8) tafsir alshaerawi, rajae 'aslah wahaqaq 'ahadithah al'ustadh alduktur 'ahmad eumar hashim, dar 'akhbar alyawm bimasr.
9) tafsir altabari damigh albayan ean tawil ay alquran li'abi jaefar muhamad bin jarir altabari, tahqiq eabd allah bin eabd almuhsin alturki, dar hajr lilnashr waltibaeat waltawzie, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1422h/2001m.

10) tafsir alfakhr alraazii almushtahar bialtafsir alkabir wamafatih alghayb lil'iimam muhamad alraazi fakhr aldiyn, dar alfikr liltibaeat walnashr waltawzie, altabeat al'uwlaa 1401h/1981m.
11) tafsir alkashaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil li'abi alqasim jar allah alzumakhshiri, aietanaa bih wakharaj 'ahadithah waealaq ealayh khalil mamun shiha, dar almaerifat bayrut lubnan, altabeat althaalithata, 1430h/2009m. bitasaruf waikhtisarin.
12) altafsir almawduei lisur alquran alkarimi, 'iiedad nukhbat min eulama' altafsir waeulum alqurani, 'iishrafi: 'a.da/ mustafaa muslmi, jamieat alshaariqat bial'iimarati, altabeat al'ulaa, 1431h/2010m.
13) tafsir ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, tahqiq 'abi alfadl shihab aldiyn al'alusi, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut lubnan.
14) altawqif ealaa muhimaat altaearif lilshaykh al'iimam eabd alra'uf bin almanawi, tahqiqu: alduktur eabd alhamid salih hamdan, dar ealam alkutub alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1410h/1990m.
15) thalath rasayil fi 'iiejaz alquran alkarim lilrumani walkhatabi waeabd alqahir aljirjani fi aldirasat alquraniat walnaqd al'adbi, tahqiq wataeliq du/muhamad khalf allah 'ahmad walduktur muhamad zaghlul slam, dar almaearif bimasr, altabeat althaalithati.
16) aljamie li'ahkam alquran walmubin lima tadamanuh min alsanat way alfurqan li'abi eabdallah muhamad alqurtubi, tahqiq du. eabdallah bin eabd almuhsin alturki, muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa, 1427h/2006m.
17) khasayis alhuruf alearabiat wamaeaniha lilduktur hasan eabaasi, manshurat aitihad alkitaab alearabii, s1998m.

18) daqayiq alfuruq allughawiat fi albayan alquranii lilduktur muhamad yas khadir aldawri, dar alkutub aleilmiati, bayrut lubnanan altabeat al'uwlaa, s2006m/1427h.
19) dalayil al'iiejazi: lil'iimam eabd alqahir aljirjani, qara'ah wellaq ealayh mahmud muhamad shakir, matbaeat madni, altabeat althaalithata, 1413h/1992m.
20) shadha aleurf fi fani alsarafa: talif alshaykh 'ahmad alhamlawi, muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa, dimashq suria, 1435h/2014m.
21) alfuruq allughawiat fi alquran alkarim lilduktur eabd aljabaar fathi zidan, aleiraq almusl, s1441h/2020m.
22) alfuruq allughawiat fi alquran alkarim lilduktur eabd aljabaar fathi zidan, aleiraq almusil, 1441h/2020m.
23) alfuruq allughawiat lil'iimam 'abi hilal aleaskarii: taqdim watahqiqu: 'iihab muhamad 'iibrahim, maktabat aibn sina, alqahirat, altabeat al'uwlaa, sanat 2013m.
24) fi albahth alsawtiu eind alearab lilduktur khalil 'iibrahim aleatiat, dar aljahiz lilnashri, baghdad, aleiraqu, s1983m.
25) lisan alearab lijamal aldiyn abn manzuri, dar bayruta, altabeat althaalithatu, 1414h,.
26) almukhtasar fi maeani 'asma' allah alhusnaa ،'ustadh mahmud sami bika, dar 'iihya' alkutub alearabiati, matbaeat hijazi, alqahirati.
27) maeani al'abniat fi alearabiati, lilduktur fadil salih alsaamaraayiy, dar eamaar lilnashr waltawzie, altabeat althaaniati, 1428h/2007m.
28) muejam alfuruq aldilaliat fi alquran alkarim, lilduktur muhamad muhamad dawuud, dar ghayb liltibaeat walnashr bialqahirati, sa2008m.
29) mighni allabib ean kutub al'aearib: lil'iimam jamal aldiyn bin hisham, tahqiqu: 'a.da/ salah eabd aleaziz

eali alsayida, dar alsalami, alqahirati, altabeat althaaniatu, 1429h/2008m.

30) nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr lil'iimam almufasir burhan aldiyn 'iilaya alhasan albaqaei, dar alkitaab al'iislamii bialqahirati.

31) hamae alhawamie fi sharh jame aljawamiei, lil'iimam jalal aldiyn alsuyuti, tahqiq washarh alduktur eabd aleal salim makram, dar albuhuth aleilmiati, alkuayti, 1399hi/ 1979m.